بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي — القسم: الاديان المقارنة

جامعة تكريت — الدراسات: الأولية

كلية العلوم الإسلامية — المادة: الديانات القديمة

المرحلة: الثالثة

## اولاً: تعريف الدين لغةً واصطلاحاً:-

أولاً: تعريف الدين لغةً: الطاعة والعادة والجزاء وكل ما ورد به الشرع من العبادات.

## ثانياً: تعريف الدين اصطلاحاً: -

١- والدين: هو الاستسلام والخضوع والانقياد لأوامر شرع الله تعالى ظاهرها والتسليم لأحكام الحقّ باطنها من غير احراج وضيق.

٢- والدين: هُوَ ما شرعه الله تَعَالَى عَلَى لسان نبيِّه من الأحكام، وهو نظام شامل لكلّ نواحي الحياة.

٣- والدين: "هو الرباط الذي يصل الانسان بالله"

٤- والدين: والراجح هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلاً وحباً، رغبة ورهبة" فهذا التعريف فيه شـــمول للمعبود، ســـواء كان معبوداً حقاً، وهو الله عز وجل، أو معبوداً باطلا وهو ما ســـوى الله عز وجل، كما يشمل أيضا العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أولها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والمسيحية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوكية، والبوذية، وعموم الوثنيات، كما يبرز التعريف حال العابد إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة، إذ أن ذلك أهم معاني العبادة، ويبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً، لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة. والله أعلم.

## ثالثاً: كيف نشأت الديانات البدائية عبر الأزمان؟

كان الإنسان الأول في مراحل حياته الأولى على الأرض يحس بالخوف من كل شيء، وخاصة إذا كان ضخماً، ومرتفعاً مثل الجبال الشاهقة والأشجار المرتفعة الضـــخمة، العالية، وكما كان يخشـــى الأماكن المجهولة والمغارات والكهوف التي كان

يعتقد أن الحيوانات المفترسة تسكنها، وأنه غير مسموح له بالاقتراب منها إلا لفئة معينة في القبيلة، ألا وهم كبار السن ذوو الحنكة والتجربة، والكهان والسحرة والزعماء.

وهكذا كانت نظرة الإنسان البدائي للمكان من حوله يحوطها الاحترام والقدسية مع نوع من الخوف للمكان، أو الجبل والأشجار العالية، وأيضاً للأنهار والبحار، وبخاصة البحار المفتوحة حيث كان يعتقد أن هذه البحار لا نهاية لها، وأنه من ركبها بقاربه، فلا عود له.

وقد استغل الكهان والسحرة قدرتهم على الإقناع وغفلة الإنسان البدائي وخوفه من المجهول فأوزعوا في نفوس البشر أنذاك قدرتهم على إخضاع قوى الطبيعة بإجراء بعض الطقوس السحرية المعينة التي تهدف إلى التسلط على هذه القوى ورغم أن هذه الطقوس كانت طقوساً خرافية، إلا أن الإنسان البدائي وثق بها واطمأن إليها، وأحس في بعض الأحيان أن بعض هذه القوى أبعد عن متناول السحرة والسحر، فأخذ في مهادنتها وتملقها بالهدايا والذبائح وإقامة الصلوات الخاصة أملاً في أن ينال رضاها وأن تستجيب بدعائه وصلواته، وهكذا ظهرت الأديان البسيطة والتي تقدس الطبيعة وقواها الخارقة، وذلك على الرغم من تداخل السحر فيها بحيث نجد في بعض القبائل أن الساحر هو أيضاً رجل الدين ينفذ تعاليم الرب على الأرض، واضعاً نصب عينيه رضا الكاهن خادم الآلهة والذي هو من رضا الرب.

وكان الاعتقاد السائد قديماً لدى الانسان ان الطبيعة تملكها وتسيطر عليها كائنات روحية يقيمون لها وزناً كبيراً لأنها مشحونة بالقوة التي تؤثر على مصير البشر وحياتهم أنذاك كما كانت القبائل البدائية أيضاً تسلم تسليماً جازماً بأن لكل هذه القوى الخفية والخلائق الحية المتحركة -لها أنفساً وأرواحاً -وأن لكل مخلوق بشري أيضاً نفساً أو أنفساً تغادر الجسد مغادرة مؤقتة عند النوم وفي أثناء- الأحلام بالذات، وكما تغادره نهائياً عند الموت.

وكانوا يعتقدون أن هذه الأنفس والأرواح لها أشكال محددة خاصة بها وأن لها أيضاً فكراً وإحساساً وإرادة مثلها سائر الكائنات الأخرى الحية على ظهر كوكب الأرض، وأن هذه الأنفس تحب المداهنة والإخلاص لها والولاء لخدمتها حتى لا تغضب عليهم ويتعكر مزاجها من تصرفاتهم فتوذيهم وتصيبهم بالضرر الجسيم، وتقترن هذه العبارة عادة بالصلاح والصلاة والمديح والتوقير والرهبة التي تنص على احترام القوة

المقد سة والاعتراف بوجودها، وغير محدد أو معروف تاريخياً متى بدأت هذه العبادات أو ظهرت هذه الأديان بالتحديد الدقيق في الأزمنة القديمة .

ولعل من أهم المعتقدات الشـــائعة بين القبائل البدائية في تلك الأونة كانت توقير الأحجار والجبال والنباتات والأشجار وبخاصة الأحجار التي كانت تسقط من السماء.

وكما تجد في الأزمنة القديمة ما نجده حالياً بين بعص قبائل هنود أمريكا الشمالية والقبائل البدائية في جزر الفلبين من وجود عقيدة سائدة والتي ملخصها "أن أسلحة زعيم القبيلة لديها قوة ذاتية مختزنة في داخلها وهذه القوة الغامضة تعمل من تلقاء نفسها"

ويحكى أن أحد زعمائها "لم يكن إنساناً عادياً فإن معا صريه قد أصروا على أن فأسه ورمحه يقتلان تلقائياً بمجرد صدور الأمر إليهما"

وأيضاً نجد أن الفأس ظلت لسنين طويلة محل تكريم وتوقير في المناطق الريفية من بلاد المانيا واســـكندناوة، وأيضـــاً في العالم اليوناني الروماني، وبالنســـبة لتوقير الأشـــجار لا زلنا نجد حتى الآن في بعض المناطق الجبلية من أوروبا –حيث يقوم الحطابون ببعض الطقوس المعينة عند قيامهم بقطع الشـــجرة الكبيرة حيث يقومون بالهمهمة والدعاء يلتمسون فيه المغفرة والسماح من الآلهة، قبل قطع الشجرة، ولا زالت بقايا توقير الأشـــجار والاحتفال بها ســـائدة حتى الآن، ونرى ذلك في الاحتفالات التي يجريها الغرب والأمريكيون "لشجرة الميلاد".

ويرجع هذا الاعتقاد إلى أن الناس راحوا يتســـاءلون عن كنية الأب الأول؟ الذي أنشـــأهم أول مرة، وقد أعيتهم الحيل في الوصـــول للإجابة من الكهنة والســـحرة الذين عا شوا معهم مما جعلهم يـ ضطرون إلى النظر لل سماء حيث يوجد العلّى، ذاك القوي الخفي الذي لا يُرى.

وهكذا بدأت فكرة الوحدانية في الأديان –تدخل حياة البشـــر وخاصـــة البدائيين الأوائل ومع الـشباب في عالم الـشباب الذي لا يدخله إلا من كان شاباً أوتى قوة وحيوية الشباب.

وما كان يفعله السحرة في ذلك الوقت من طقوس معينة للتسلط على قوى العالم.

بدوافع السحر، حيث اعتقد أنه برسم الحيوانات يتمكن من السيطرة عليها، ونشأت عند إنسان هذا العصر بعض الأفكار عن الحياة والموت، وظهرت أولى محاولات بذور الدين على هيئة اعتقادات ورسوم بدائية وممارسة السحر، ويمكن اعتبار السحر أول محاولة فاشلة للإنسان للسيطرة على الطبيعة بأعمال السحر.

وبحلول العصر الحجري الحديث وعصر النحاس وعصور ما قبل الأسرات بدأ الفكر الديني في منطقة الشرق الأدنى القديم يأخذ منحى جديدا، حيث استقرت فيه الأصول الأولى للفكر، وبدأت مراحل التطور التدريجي النامي نحو المزيد من الاستقرار في محاولة الوصول إلى الحقيقة في مجال قدرة العقل الإنساني، فكان لمنطقة الشرق القديم في هذا الصدد أولولية خاصة تتصل بعلاقة المنطقة بالجانب المادي للدين. وهذا ما يمكن مشاهدته على الآثار التي عبرت عن الفكر الديني لإنسان تلك الفترة، ولوحظ أن هناك اتصال وثيق بين ماهو فكري وما هو مادي، خاصة منها الحياة الزراعية، فقد آمن الإنسان ابتداء من هذه الفترة بأن الإنتاج الزراعي ارتبط برضا القوى الطبيعية، وآمن أن سعادته ترجع إلى مدى رضا هذه القوى عنه.

ولم تخرج منطقة وادي الرافدين عن هذا الإطار باعتبارها جزء من الشرق الأدنى فقد اعتمد سكانها بصورة رئيسية في زراعتهم على المطر كما الحال في الوقت الحاضر بالنسبة لزراعة الحبوب في المناطق الشمالية من وادي الرافدين والسبب في ذلك لأن أراضي هذه المناطق متموجة ولا ينفع معها استخدام أنظمة الري، ولذلك فإنها مضطرة للاعتماد على مياه الأمطار، وبسبب هذه الحقيقة فإن أولى هذه الحضارات الزراعية الديمية قد نشأت في المناطق التي كانت أمطارها الفصلية كافية لنمو الزرع أي عند سفوح الجبال في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية من وادي الرافدين.

بلاد الرافدين بالآرامية: بين نهرين، وتعني "بلد النهرين"، بالإغريقية: ميسوبوتاميا، بمعنى ما بين النهرين (هي منطقة جغرافية تاريخية تقع في جنوب غرب آسيا، تعد من أولى المراكز الحضارية في العالم، وهي تقع حالياً في العراق، سوريا وتركيا ما بين نهري دجلة والفرات، وأشهر حضارا تها هي حضارة سومر واكد وبابل وأشور وكلدان، والتي نشأت من العراق. ومع إزدهار الحضارات في بلاد ما بين النهرين وفي اوقات متزامنه ومتعاقبة تم إحتلال الأراضي المجاورة فأحتلت شرقاً أجزاء من إيران وتحديدا حضارة عيلام (وهي تعرف حاليا بمحافظة محافظة خوزستان والمعروفة بإسم عرب ستان) وأحتلت غرباً سوريا وصولاً

إلى فلســـطين حيث تم الســـبي البابلي في عهد نبو خذ نصـــر، وبعد موت نبو خذ نصـــر مرت حضـــارة ما بين النهرين في عهد الإنحطاط والتردي بينما نشـــأت وتطورت حضارة الفرس فتم احتلال بابل وما بعدها على يد قورش وأصبحت قطيسفون (حالياً معروفة بإ سم المدائن) جنوب شرق بغداد عا صمة لدولة الفرس المجوس حتى جاء الفتح الإ سلامي لبلاد العراق وال شام على يد عمر بن الخطاب، وبقيت العراق في ظل راية الإسلام حتى بنيت المدينة المدورة بغداد على عهد الخليفة العباسي المنصور، ثم أصبحت بغداد عاصمة للخلافة العباسية واعتبر ذلك العهد بالعصر الذهبي للإسلام. وفي عام ١٩٢٠أعلن ظهور أول حكو مة مؤقتة في العراق بعد زوال حكم الدو لة العثمانية، وبدا عهد المملكة العراقية، ثم تحول إلى الحكم الجمهوري.

ومع ظهور ملوك الســـلالة البابلية الحديثة ظهرت الديانة التوحيدية بعد أن جاء اليهود إلى بلاد بابل إبان الســـبي البابلي الثاني، وقد أدت إلى زعزعة المعتقدات الدينية القديمة وظهر صراع ديني حاد بين الناس، وربما ذلك دفع آخر ملوك هذه الـ سلالة إلى التركيز على عبادة الإله "سين" إله القمر ليواجه الديانة التوحيدية الجديدة سيما وأن الإله سين من الآلهة المعروفة لدى جميع الأقوام التي خ ضعت للنفوذ البابلي والأقوام القادمة من الجزيرة العربية بخلاف عبادة مردوخ التي اقتصـــرت على بلاد بابل، غير أن اهتمامه بالإله سين وإهماله للإله الرئيسي مردوخ أثار سخط كهنة بابل و سكانها الذين رأوا في ذلك انتقاصا من عبادة إلههم القومي، وتشير النصوص المسمارية إلى أنه عاود الاهتمام بالإله مردوخ لترضـــية الســـكان والكهنة، وقد اســـتغل كورش الفارســـي هذا الصـــراع فادعى بأنه جاء إلى بابل لإنقاذها وآلهتها القومية وبذلك فإن هذه الإلمامة الســـريعة بالملامح التي مرت بها الديانة في منطقة وادي الرافدين **تبين لنا شـــيئين مهمين:**

١- أن الدين الـسومري أول نظام ديني عميق ابتدأت منه العـصور التاريخية للإنسان، فقد كانت أديان ما قبل التاريخ تفتقر إلى شـــبكة النظامية الدقيقة التكوين ولوحدة الإيقاع في العقيدة والطقوس والميثولوجيا، وكان ظهور الدين الســـومري ثورة روحية عميقة في عـصره لأنه كان نظاما دينيا شاملا، ثم أنه احتوى ضمنا أغلب بذور جذور الأديان التي ظهرت عبر المراحل التاريخية للإنسان.

٢- أن الدين في منطقة وادي الرافدين كل متكامل له أ صول واحدة وإن اختلفت بعض صوره فالتطورات الـ سيا سية أثرت في مركز الآلهة علوا وهبوطا، حيث كان إله الدولة المتفوقة يغدو إلها رئيســـيا أو محليا شـــاملا لما تكون الدولة قد أخضـــعته لســـلطانها من أقاليم ومتفوقا على آلهتهم ولم تكن هذه الظاهرة مع ذلك تؤدي إلى إهمال الآلهة التي نزلت عن مركزها نتيجة لعلو منزلة الـ سلالة المتفوقة، بل كانت تبقى في عداد الآلهة إما نتيجة لتمسك عابديها الأولين أو لما شغلته في الأذهان من مكانة دينية، وهو ما ذهب إليه فيليب حتي في قوله: "إن أقدم شـــكل نعرفه للديانة العراقية القديمة كان في جوهره تأليها لقوى الطبيعة وعبادتها، ففي أثناء العـ صور التي تطورت فيها هذه الديانة، نلحظ أن الـ سومريين سكان البلاد الأوائل قـ سموا الكون إلى الســـماء والأرض وما يتولى أمر ها ثالوث من الآلهة، وعندما جاء الـ ساميون الجدد أقاموا نظام ديانتهم على أ ساس الديانة الـ سومرية، وعندما زهت بابل وعلت مكانتها أصبح الإله السامي مردوخ ولقبه البعل إله الأمة الأول وكذلك الأمر عندما بلغت نينوى شأنا مرموقا ارتقت مكانة إله سامي آخر هو الإله أشور وأصبح رئيسا للآلهة.."

## سادساً: عقيدة الالوهية في بلاد الرافدين التوحيد-الشرك

**اولاً: فكرة تعددية الآلهة:**

ذكرت المدونات المســـمارية القديمة أن ديانة بلاد ما بين النهرين كانت تؤمن بشكل مطلق بنظرية تعدد الآلهة، وكان العراقيون القدماء دائما ما يصورون الآلهة على شكل إنسان أكبر حجماً وأكثر قوة وذكاء وقدرة وتتميز عن البشر بنعمة الخلود.

وفي الألف الرابع ق.م. التقى في المـ ناطق الجنوبـ ية لبلاد ما بين النهرين شعبان ساميان مختلفان، (الأكديون) الذين أستوطنوا في السهول الخصبة و(السومريين)، والذين اســـتطاعوا بناء أرقى وأقوى واغنى وأزهى حضـــارات الشـــرق الأدنى القديم، وكانت فكرة التعددية هي السائدة حيث أن الآلهة كانت كبيرة العدد جداً ولكل إله صفاته ووظيفته الخاصة، وكانت أغلبية هؤلاء الآلهة ذات أسماء سومرية، اما العدد القليل جداً منها كانت لها أسماء سامية أكدية.

ويستدل من هذا العدد الكبير من الآلهة ذات الأسماء السومرية على ان مجموعة الآلهة الأكثر قدما في هذه البلاد قد اتخذها على الأكثر الســـومريون، وقد أخذ الأكديون

## رابعاً: الطقوس القديمة التي كانت سائدة في تلك الأزمنة

كان للسحر أكبر الأثر في تلك الطقوس حيث أن الكهنة هم أيضاً السحرة الذين يقومون بإعداد و صفات العلاج من الأعشاب الطبيعية لزعيم القبيلة أو الحاكم منها ما يؤدى إلى تقوية جسده، واطالة عمره.

لإخضاع السحر لإرادة الإنسان، ولذلك لا يمكن فصل السحر عن الدين لتداخلهما معاً، ولقيام رجل واحد بهذه المهام في آن واحد.

ولعل أغرب وأقرب الأمثلة على ذلك ما كان يفعله الزراع في القبائل الزراعية البدائية عندما يريدون نمو النبات إلى ارتفاع كبير فيذهب المزارع في حقله وقت تفتح براعم الحبوب –فيقوم بأداء بعض الألفاظ والحركات البهلوانية مثل القفز العالي في الهواء لكي ينمو النبات وبكبر ويرتفع مثل قفزته العالية.

وإذا أرادوا هطول الأمطار لري زروعهم ونباتاتهم يقوم المزارعون بالذهاب إلى المذحدرات ثم يدحرجون الأحجار من فوق هذه المذحدرات وهم يدقون الطبول ويصرخون صرخات هيسترية عالية لإحداث عاصفة رعدية تتسبب في هطول الأمطار.

ولعل أخطر أنواع السحر البدائي في القبائل البدائية كان هو "السحر الأسود" سحر أذى الغير واهلكهم.

وكما كان يوجد قديماً في القبائل البدائية في الديانات البدائية بين هذه القبائل علاقة وثيقة بين السحر وبين العرافة أي التوافق مع القوى الروحية وإدراك ما هو غامض وخفي في الحاضر والمستقبل، فالعراف: هو يعمل في التنجيم وقراءة الطالع سواء كان رجل او امرأة، وقد يستخدم قواه السحرية الكامنة فيه، أو قد يوطد علاقات بينه وبين عالم الأرواح وبخاصة أرواح الموتى من البشر.

وبهذه الطريقة يحصل العراف على المعلومات المطلوبة عن الأشخاص أو أحداث الأرض التي حدثت بها أو فوقها أو تحتها.

والمعتقدات السائدة في هذه القبائل البدائية ان العراف يكون على اتصال بعالم الأرواح أو روح معينة تلازمه تطلعه على الخفايا والأسرار، وقد يكون للعراف مظهر ديني موقر يمليه عليه علوى عن طريق الأحلام والرؤيا أو كلام الآلهة، كما كان يفعل الأغريق قديماً لإيمانهم بها في الأساطير العديدة من دينهم القديم.

ومن أهم مظاهر العراف أو العرافة قراءة الطوالع في طيران الطيور أو ق صف الرعد أو ظهور المذنبات في الجو، أو حالات الكسوف والخسوف والحوادث المفاجئة أو غير ذلك من الظواهر.

وقد كان العراف من أهم ضرورات لحياة البدائية للإن سان البدائي بحيث نجده في كل الأديان البدائية القديمة آنذاك.

ولعله من أغرب العادات القديمة وأكثرها احتراماً وتقديراً تلك العادة الشائعة عن احترام الزعماء في القبائل البدائية في شـــتى الأقطار حيث يعتبر شـــخص الزعيم من الحرمات المقدســـة التي لا يمكن الاقتراب منها أو ملامســـة ثيابه أو أدوات طعامه، أو حتى البسط والحصائر التي ينام عليها لإيمانهم المطلق بأن الزعيم مشحون بقوة عظيمة بحيث يتعرض للخطر الجسيم كل من يلمسه أو يلمس ثيابه.

كما قد تكون هناك أرواح نجسة أو مدنسة تسكن في أسرة أو قرية، مما يتطلب إجراء طقوس معينة للتطهير وطرد الروح من مكمنها، **وذلك بعدة طقوس مختلفة منها** –

١– الصوم والامتناع عن الأكل وقص الشعر والأظافر.

٢– الزحف وسط أبخرة من الدخان.

٣– القفز فوق النيران.

٤– الغسيل بالماء والدم أو إحداث جرح في الجسم لخروج الروح الشريرة منه مع الدم الذي يخرج عندئذ.

## خامساً: اديان بلاد الرافدين

لم يتفق علماء الأديان على طريقة واحدة لذ شأة الدين الأولى، ففريق منهم تعمق في معتقدات الأقوام السابقة، وفي أساطيرها معتمدا في ذلك على الأنتروبولوجيا وفريق آخر اهتم بدرا سة أو ضاعها الاجتماعية، أما الفريق الثالث فبحث في أو صاف الآلهة معتمدا في ذلك على اشـــتقاق اللغة –الفيولوجيا– وكان لا بد لهذه الطرق في البحث أن تنتهي إلى نتائج مختلفة، وقد تبين لعلماء الأديان والاجتماع أن أديان الشـــعوب القديمة هي ذاتها خلاصـــة تطورات حدثت في أجيال، ولكي يتم الاطلاع على الوضـــع الديني الأول يجب التعمق في بحث الأديان لإرجاع كل منها إلى أ صله حتى يـ سهل الو صول

للدين الأول ومعرفة ما اقتبسه من الأديان الأخرى، وكيف انتهى وضعه المعروف ولا يتم ذلك إلا بدراسة الأديان والانتقال منها إلى الأديان السماوية المتكاملة.

ورغم تشابه خصائص الديانات القديمة، إلا أن طرق البحث أدت بعلماء الأديان إلى إيجاد العديد من الخصائص المختلفة بين هذه الأديان وأدى هذا الاختلاف إلى تعدد النظريات في نشأة الدين، فالعلماء الذين اعتمدوا على الانتروبولوجيا ودرسوا معتقدات الشعوب القديمة وأساطيرها وضعوا "النظرية الروحية" التي تقرر أن البشر الأوائل عبدوا الروح واعتقدوا أن لجميع الموجودات روحا ســـواء كان حيوانا أو نباتا أو كان جمادا، فعبد الإنسان أرواح الموتى فمظاهر الطبيعة بوصفها ذات أرواح، ثم انتقل إلى الوثنية فعبادة آلهة.

وأما العلماء الذين درسوا الأوضاع الاجتماعية لتلك الأقوام فقد وضعوا "نظرية الطوطمية" أي أن الجماعات البشـــرية الأولى جعلت أحد الموجودات حيوانا أو نباتا أو جمادا شعارا مقدسا لها واجتمعت حوله واهتمت به.

فيما ذهب العلماء الذين حاولوا أن يتوصـــلوا إلى الدين الأول عن طريق انشـــقاق اللغة "الفيلولوجيا" والمقارنة بين أوصاف الآلهة، فقد وضعوا "نظرية الطبيعة" أي أن القدماء كانوا يعبدون مظاهر الطبيعة، حيث زعم أنصـــار هذه النظرية أن خوف الإنســـان من مظاهر الطبيعة كالرعد، الأمطار، الزلازل...جعله يتقرب إليها ويدعوها ويتوســـل لها وينذر إليها النذور ويقرب لها القرابين.

والشيء الوحيد الذي تشترك فيه هذه النظريات هو القول بأن الدين سلك على مر القرون مسلك التطور، فنشأ الدين في بدايته بحالة ساذجة، ثم أخذ يتطور حتى بلغ بالأديان العامة مبلغه من الكمال، ومبدأ التطور الذي يتحكم في جميع النتاجات البشرية سواء كانت تلك النتاجات مادية أو فكرية يفرض علينا القول بأن المعتقدات الدينية لفترة العصور التاريخية لا بد وأن تكون متشبعة من المعتقدات التي سادت خلال العصور الحجرية مرورا بالحضارات الزراعية، وعن مبدأ تطور الدين يقول جفري بارندر: "لا بد أن الحس الديني قد خضع لنفس التطور الذي خضع له الإنسان، فاختلف وفقا لمراحل كثيرة لإرتباطه ارتباطا وثيقا بالإطار الثقافي الذي وجد فيه".

ويذهب طه باقر إلى اعتبار العصـــر الحجري القديم بداية لظهور الدين، حيث وجدت في جدران الكهوف رسومات و صور ملونة دقيقة، وأغلب هذه الصور تمثل الحيوانات التي كان يصطادها الإنسان في تلك الفترة لأكلها، لأنه كان مدفوعا في فنه

١٣- **بازوزو:** المعروف أيضا باسم زو، كان إله شرير، الذي سرق الواح قدر إنليل، وقتل بسبب هذا، كما أنه جلب الأمراض التي ليس لها علاج معروف.

## عاشراً: الديانات القديمة في مصر الفرعونية

لقد انتقلنا هنا عزيزي القارئ من الأديان البدائية القديمة التي ا ستنها الب شر في أوائل حياتهم إلى الديانات الأكثر تطوراً أو سمواً وقوة ومكانة، ومع تعدد هذه الديانات، تعددت بالتالي الآلهة الى تتبعها هذه الديانات، ولعل مصـــر القديمة، عزيزي القارئ تضـــرب لنا أبســـط الأمثلة على تطور هذه الأديان من عبادة الروح إلى عبادة الآلهة المتعددة والسلوكيات الملتزمة الحاكمة التي تنبثق من هذه الأديان

ونتيجة لهدوء طبيعة جو مصر القديمة واتساع خيراتها واستواء أرضها وعظمة مناخها الشـــاعري الجميل الذي قل إن يوجد مثله في ســـائر بلاد العالم أجمع، والنيل العظيم وهو يحقها من جوانبها وو سطها، م ستر سلاً يم شي في هدوء ووقار ناعماً، كل هذا ســـاعد أهلها على التفكير والتأمل في الآلهة الأخرى، بعد أن بدأت هذه الآلهة المعبودة على شـــكل حيوانات لكل قبيلة أو جماعة إلهها الخاص بها، حيث ترى في الريف المصرى تنوع الآلهة المعبودة من حيوانات البيئة مثل ذلك:

١-بلاد تنيس وأبيدوس كانت تعبد أوى.

٢-مدينة الفيوم كانت تعبد التمساح.

٣-ومدينة طيبة كانت تعبد آمون في شكل كبش.

٤-ومدينة منف كانت تعبد إلهين هما اللبؤة وعجل أبيس الشهير.

٥-ومدينة دندرة كانت تعبد البقرة ويطلقون عليها اسم (هاتور).

٦-ومدينة إدفو كانت تعبد الصـــقر وغيرها من الجماعات كانت تعبد القرد، وفرس النهر، والحيات.

وقد كانت هذه الحيوانات والطيور لا تعبد لذاتها وإنما لخواصها التي كانت تتميز بها والتي كانت في بعض الأحيان (فائقة للبشر)، وذلك اعتقاداً منهم أن الخواص الإلهية يمكن أن تظهر في الحيوان أو الإنسان أو كليهما معاً، ولذلك صوروها في أجساد بشرية برؤوس حيوانية أو العكس، فمثلاً إله الموتى وحارس المقابر والمدافن (أونوبيس) كانت له رأس ابن أوى وإله العلم (توت) حمل فوق كتفيه رأس أبيس العجل المقدس نسبة إلى الإله.

## احد عشر: الديانة القديمة للإله أوزوريس:

يرجع أ صل ديانة الإله " أوزوريس » إلى ما قبل التاريخ كما تقول الأ ساطير القديمة، والتي تقول عنه، أنه كان في الأ صل إلهاً زراعياً قدم على (م صر) في شكل إنسان خادم من ليبيا أو سورية.

وتحكى الأ سطورة القديمة ق صة قدوم الإله "أوزوريس" وزوجته (إيزيس) عند هبوطهما في صورة بشر بالقرب من مدينة طيبة، حيث نزل عند كاهن متواضع الحال، وكانت طيبة في ذلك الوقت مدينة غير مشـــهورة لأنها كانت آنذاك مدينة بلا شـــوارع جميلة أو متسعة ولا يوجد بها معابد كثيرة ولا تماثيل ضخمة الصنع ، ولا قصور أنيقة البناء، بل كانت كل بيوتها مصنوعة من الأحجار المستطلية البيضاء.

وتجمع الناس حول الإله (أوزويس) وزوجته الحسناء (إيزيس) وهم يتفرسون في وجوههما مبهورين، بهذا الجمال البشـــرى الرائع التكوين الذي ليس على بشـــر، وتلك المهابة والقوة والإجلال التي تنطق بها ملامح هذا الإنسان الهابط من السماء.

ولم يجد امرأة أجمل ولا أنقى من إيزيس أنذاك لشـــدة جمالها الدرجة أن الناس شبهوهما بالآلهة القادمة من الـ سماء وأحس الناس بالغريزة أنهما حقاً ليـ سا من سكان الأرض، فأحاطوهما بالتبجيل والتقديس والاحترام الشديد الذي يليق بحضرتهما السامية.

وقد سمع بمقدمهما الملك والملكة فانهالا على الكاهن البسيط بالأسئلة يسألونه عن هذين الغريبين من أين جاءا؟ وكيف جاءا؟ هل أتيا بالقوارب عن طريق النيل أم ركوباً عن طريق التلال والبر؟

ولماذا أتيا إلى هنا؟ ولكن كل هذه الأ سئلة لم تفلح في ا ستخراج أجوبة شافية للملك وزوجته إلا ما كان يردده الكاهن البســـيط أنه وجدهما فجأة يقفان أمام باب المعبد الصغير ولم يعرف كيف أتيا إلى هنا، وقد قبلا النزول في ضيافته لفترة من الزمان.

وكلما مرت الأيام ازداد الناس حيرة من أمرهما واحتراماً لهما وخ شية وتقديـ ساً لهما كحد العبادة وســـرعان ما عاش الغريبان بين الناس يواســـيان الفقراء والضـــعفاء والمصـــابين ويداويان الجراح وكلما اشـــتد الكرب أو المرض تجدهما يقفان بجانب الملهوف والسقيم.

وكان الإله (أوزيريس) مشـــغولاً طوال اليوم نهاره في المزارع والحقول يرافق العمال والزراع يعلمهم ويشرح لهم كيف يصنعون المحراث وكيف يستخدمونه في شق

الأرض وتقليبها، وكيف يـ صنعون الـ شادوف ليرفعوا به المياه من الترع والأنهار لري الأراضـــي الزراعية بدلاً من حمله في أوعية كبيرة فوق الأكتاف والظهور، وقد طلبه الملك لتعليم وزرائه وقواده الحكمة فكان يذهب إليهم في المســـاء، بعد أن يعلم الزراع والشيوخ والشباب طوال النهار، وقد ألح عليه رجال البلاط والحاشية أن يبيت عندهم في القـ صر لينعم بأطايب الطعام – وينام على الفراش الوثير، ويلبس أحـ سن الثياب ، لكنه كان يفضل سكنى الكاهن البسيط على أجنحة القصر وأطايب طعام الملك

وأخذ (أوزوريس) يـ شرح للناس العبادة ويو ضح لهم أن التماثيل الحجرية التي يقد سونها ويعبدونها هي أ صنام لاتعى ولا تـ سمع ولا تـ ستجيب لأنها لاحول لها ولا قوة فهي مصنوعة فكيف تخدم صانعها الإنسان ؟!

وأنهم يجب أن يرفعوا أكف الضراعة للإله الأكبر الذي يسكن في السماء، والذي يحميهم ويستمع إليهم وهو الذي يمدهم بما يحتاجون، بالشمس التي تهبهم بالدفـء والنور وهي دليل وا ضح على عظمة الإله الأعلى والنيل الذي يروى أر ضهم وزراعاتهم هو أيضاً هبة من السماء وإله السماء، وكان يقول لهم في خطبة أن من عاش نزيهاً مستقيماً غير محب لذاته ا ستطاع رغم كونه إ نساناً أن يدرك الملكوت الذي يمثله الإله ويـ ستمتع ببهائه وسناه.

ومن كثرة ما شاهد الناس من أعمال (أوزوريس) العظيم وفعل الخيرات للفقراء ومساعدتهم والنصح والإشادة للحكماء، ومحبته للناس اعتقد الناس اعتقاداً جازماً أنه هو نفسه الإله الذي يتحدث عنه ؟!

وهكذا استطاع (أوزوريس) بسلوكياته الرفيعة السوية أن يلفت أنظار المصريين إلى أعلى وأن يغرس في نفوسهم الإيمان العظيم بالإله الكائن الأعظم.

## ثاني عشر: ديانة الإله (حورس) إله الشمس الساطعة

رغم أن الإله (حورس) الذي ذ صب نف سه إلها للـ شمس لم يكن هو الإله الوحيد حيث نجد الإله (رع) الذى جاء ليكشف (حورس) وكان الإله (رع) يطل على المصريين من جبل المشرق في كل صباح مزهواً بأشعته الذهبية التي يرسلها لعباده، مظفراً فخوراً بانتصاراته على قوات الظلام بادئاً رحلته النهارية في زورقه السابح في البحر السماوي طاوياً ملايين الســـنين واهباً للنور والدفـء وكل مقومات الحياة للمخلوقات على ســـطح الأرض من نبات وحيوان وإنسان.

فكرة الآلهة بأنها ليس فقط على غرار الصورة البشرية بل أيضاً فيها صفات بشرية بحتة من مميزات وعيوب، وكانت الاكديون ينظرون إلى الآلهة بالمزيد من الورع والاحترام، وبشعور حقيقي بسموهم وتجردهم.

**ثانياً: فكرة الإله الواحد:**

وبعد القضاء على الدولة السومرية واندماج السومريين في المجتمع الاكدي في الالف الثالث ق.م.، تغيرت الأفكار الدينية بعد أن سيطر الأكديون وحدوث عدة تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية.

فقد زالت دويلات المدن الصغيرة وظهرت الدولة القومية الموحدة الأوسع والأقوى التي يحكمها ملوك متعالين متكبرين مهيبين محجوبين عن انظار الجماهير. وعلى غرار هؤلاء الملوك، أخذت الآلهة هي الأخرى تعتبر شخصيات متسامية لا يمكن بلوغها، بل ان الناس أصبحوا يعتبرون أنفسهم وضعاء وفقراء أمام هؤلاء وأصبحت خدمتهم هي شغلهم الشاغل.

وكان الاله إنليل يعتبر كبير الالهة ولفترة طويل من الزمن حيث حكم باسمه الملوك وبناءاً على رعايته وطدت سلطة الحكام وشرعت القوانين فتم ذكره في مقدمة قانون أورنمو ومسلة حمورابي، ولكن في اواسط الألف الثاني قبل الميلاد، إزدادت شعبية الاله) مردوخ (الذي وكلت له مهمة حراسة العاصمة بابل لدرجة ان رجال دين المدينة رفعوه إلى مستوى سيد الآلهة والعالم والبشر وجعلوه كذلك خليفة للاله السومري (انليل). وقام هؤلاء الكهنة بنشر ديواناً شعرياً مطولاً ذا طابع أسطوري وتقريظي أسموه بـ(ملحمة الخلق) التي ظهرت فيها نزعات نحو الأحادية في العبادية المختلفة عن عقيدة التوحيد المطلق، أظهرت فيها فكرة الإله القوي المسيطر الذي استطاع بفضل قوته وحكمته من القضاء الآلهة التقليدية القديمة بعد صراعات طويلة وعنيفة أنتهت بالقضاء على الآلهة التقليدية القديمة وظهور جيل جديد من الآلهة الشباب وعلى رأسهم (مردوخ).

مع إن هذه الملحمة لم تنكر الوهية سائر الآلهة، لكنها مهدت بشكل أو بآخر لعقيدة الاله الواحد. فقد برزت في الألف الأول قبل الميلاد أحادية مماثلة مرتبطة بآلهة أخرى مثل (نابو) ابن مردوخ، و(شمش) إله الشمس الساطعة. ولكن هذه النزعات لم تستطع القضاء على المعتقدات الدينية الأساسية والتقليدية القائمة على فكرة تعدد الألوهية المتمثلة بشخصيات مصورة على هيئة بشر.

## سابعا: اللغة والكتابة في بلاد الرفدين

أقدم لغة مكتوبة معروفة في بلاد الرافدين كانت السومرية، وهي لغة معزولة متراصة، لهجات سامية كانت تتحدث في بلاد الرافدين في وقت مبكر مع السومرية. في وقت لاحق لغة سامية، الأكدية، جاءت لتكون اللغة السائدة، على الرغم من أن السومريه كان يحتفظ بها للأغراض الادارية، الدينية، الأدبية، والعلمية .أصناف مختلفة من الأكدية استخدمت حتى نهاية الفترة البابلية الثانية، ثم أصبحت الآرامية، التي كانت قد أصبحت شائعة في بلاد الرافدين، اللغة الإدارة الإقليمية الرسمية للإمبراطورية الفارسية، توقف استخدام الأكدية، ولكن كلا من السومرية والأكديه كانت لا تزال تستخدم في المعابد لبضع قرون.

## ثامنا: الدين في بلاد وادي الرفدين

الدين في بلاد الرافدين هو أول ما يتم دَ سجيله، إن أهل بلاد الرافدين اعتقدوا أن العالم كان عبارة عن قرص مسطح، ويحيط به فضاء ضخم ومثقوب، وفوق كل ذلك، الجنة، كما اعتقدوا أن الماء كان في كل مكان، إلى الأعلى، والأسفل وعلى الجانبين، وأن الكون ولد من هذا البحر الهائل، بالإضافة إلى ذلك، كانت ديانة بلاد الرافدين وثنية وبتعدد الآلهة.

### الدفن

المئات من المقابر قد تم حفرها في أجزاء من بلاد الرافدين، كاشفة عن معلومات حول عادات الدفن في بلاد الرافدين. في مدينة أور، معظم الناس دفنوا في مقابر الأسرة تحت منازلهم (كما هو الحال في جاتال هويوك)، جنبا إلى جنب مع بعض ممتلكاتهم. وهناك عدد قليل تم العثور عليهم ملفوفين في حصير والسجاد، الأطفال المتوفين وضعوا في «جرار» كبيرة التي تم وضعها في كنيسة العائلة، بقايا أخرى تم العثور عليها مدفونة في مقبرة عامة للمدينة. ١٧ قبر تم العثور عليه مع قطع ثمينة جدا في داخلهم؛ يفترض أن هذه كانت مقابر ملكية.

### القوانين

الملك حمورابي، كما ذكر أعلاه، كان م شهور لمجموعته من القوانين، شريعة حمورابي (تم إنشاؤه ١٧٨٠ قبل الميلاد)، التي هي واحدة من أقدم مجموعات القوانين

وجدت وواحدة من أفضل الأمثلة المحفوظه من هذا النوع من الوثائق، من بلاد الرافدين القديمة، وضع أكثر من ٢٨٢ مادة من القوانين لبلاد الرافدين.

## تاسعا: الآلهة والإلهيات الأساسية:

١- **أنو:** هو إله الـ سماء الـ سومري. كان متزوجا من كي، ولكن في بعض أديان بلاد الرافدين الأخرى كان له زوجة تـسمى أوراس. على الرغم من أنه كان يعتبر الإله الأكثر أهمية في الـبانثيون (مجمع الألـهه)، تولى دورا في المعظمه سـلبي في الملاحم، سامحا لإنليل بالمطالبة بالمنصب كالأله الأقوى.

٢- **إنليل:** في البداية كان الإله الأقوى في ديانة بلاد الرافدين، كانت زوجته نينليل واطفاله كانوا اشـكور (أحيانا)، أنانا، صـوين، نرجال، نيسـابا، نامتار، نينورتا (أحيانا) بابيل ساج، نو شو، ابيلولو، أوراس زابابا و اينوجي موقعه في صدارة مجمع الألـهه اغتصب في وقت لاحق من قبل مردوخ ومن ثم من قبل آشور.

٣- **إنكي (ايا) إله اريدوا:** كان إله المطر.

٤- **مردوخ:** هو الإله الرئيسـي لبابل .عندما صـعدت بابل إلى السـلطة، صـعدت الأسـاطير مردوخ من موقعه الأصـلي باعتباره إله الزراعة إلى الإله الرئيسـي في البانتيون (مجمع الألـهه).

٥- **آ شور:** كان إله الإمبراطورية الآ شورية، وبالمثل عندما صعد الآ شوريين إلى السلطة، صعدت اساطيرهم آشور إلى موقف ذو أهمية.

٦- **غولا أو اوتو:** (في السومرية)، شمش (في الأكادية) هو إله الشمس وإله العدالة.

٧- **ايرشكيجال:** كانت ألـهة العالم السفلي.

٨- **نابو:** هو إله بلاد الرافدين للكتابة، كان حكيما جدا، وأثنى عليه لقدرته الكتابيه، في بعض الأماكن كان يعتقد أن له الـسيطرة على الـسماء والأرض، أهميته زادت بحد كبير في فترات لاحقة.

٩- **نينورتا: كان** الإله السومري للحرب، كما أنه كان إله الأبطال.

١٠- **ايشكور، أو أداد:** هو إله العواصف.

١١- **إيرا:** غالبا كان إله الجفاف. هو غالبا ما يذكر بالارتباط مع أداد ونرجال في وضع المخلفات على الأرض.

١٢- **نرجال:** غالبا كان إله الطاعون، كما أنه كان زوج ايرشكيجال.